دراسة واقعية لظاهرة الوحي في الدراسات الاستشراقية المنصفة

A Realistic Study of the phenomenon of revelation in fair Orientalist Studies

YOUSIF MOUSA ALI ABDALLA ABUALYQA*[1]

ABSTRACT

The phenomenon of revelation is among the most critical subjects studied by Orientalists, as proving the occurrence of revelation leads to substantiating the authenticity of the Quran, the prophethood of Muhammad (peace be upon him), and confirming his message. Most Oriental scholars initially lacked conviction in the descent of revelation upon the Prophet (peace be upon him), as proving revelation validates his prophethood while denying it opposes this validation. This research raises questions about the concept of revelation, the biased stances of Orientalists towards revelation, the evidence they relied upon to deny the descent of revelation, and how fair Orientalists responded to those who rejected the phenomenon of revelation. The significance of this research lies in highlighting the danger posed by biased Orientalists who studied revelation, aiming to strip Prophet Muhammad (peace be upon him) of prophetic qualities. Therefore, the objective is to explore the opinions of some Orientalists regarding revelation, delineating both their negative and positive, as well as moderate, positions by tracing their methodologies and relied-upon means. To achieve this goal and others, this research utilizes descriptive and historical methods, identifying the research problem, gathering related facts and information, and specifying primary and secondary sources of these facts. These facts are then categorized, analyzed, their relationships identified, and results presented and interpreted. The most significant findings emphasize the necessity of proving revelation to Prophet Muhammad (peace be upon him), as it validates numerous aspects: the authenticity of the Quran, the prophethood of Muhammad (peace be upon him), and confirming his message.

***Keywords**: Revelation, Orientalist studies, Quran, Hadis, Prophet*

[1] **Yousif Mousa Ali Abdalla Abualyqa*** Ph.D. (Corresponding Author), Associate Professor at the Faculty of Literature and Sciences, Gharyan University of Jabal Gharbi, LIBYA. Email: yma2018@yahoo.com

المقدمة

لاشك إن كلام الخالق سبحانه وتعالى معجز، لا يرقى إليه كلامُ المخلوقين، من حيث الصياغةُ والمعنى والمدلولُ والديمومةُ، فقد تحدى الله سبحانه وتعالى كفار قريش بقوله:. ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾البقرة: ٢٣ ﴿ .أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ يونس: ٣٨

من هنا أثار أعداء الإسلام من جاهليّين قُدامى وعلى رأسهم قريش و من والاها، في محاربة المصطفى الأمين وتكذيبه و التشكيك في القرآن الكريم و في نسبته إلى الله رب العالمين. وعلى منوالهم اثار المستشرقين الشبهات حول الوحي القرآني، وكانت تستهدف هذه الشبهات في الغالب تأكيد أنّ الوحي القرآني ليس مرتبطاً بالسماء وإنّما هو نابعٌ من ذات محمّدٍ الإنسان صلّى الله عليه وسلم .

وظلّ الوحي القرآني مثار دهشة الغربيين والمستشرقين كما يعتقد بلاشير ومن على زمرته، بما أحدثه من تغيير شامل في المجتمع الإنساني وما أضافه إلى الحضارات من زخم وحياة ، وما قدّمه للثقافة والعلم من تجديد وتطوّر على كل الأصعدة. مما جعل علماء الغرب المسيحي يتتبعوا نصوصه بإمعان، فاختلفت وجهات النظر الضيقة حول مصدرية الوحي و طبيعته ، فاتسم بعضها بالموضوعية ، وبعضها اتبعت الهوى واقتصرت تحليلاتهم على رد الوحي إلى ينابيعه الأولى،اليهودية والمسيحية وغيرها.

وهذا النوع من الدراسات الاستشراقية له دافع تبشيرياً إلى محاولة نزع الثقة من القرآن وخلخلة الإيمان به لذا أتباع محمد صلى الله عليه وسلم،من خلال التأكيد على أن القرآن الكريم حرّف وبدّل بعد وفاته صلىالله عليه وسلم، وفي صدر الإسلام الأول .

وقد أشار القرآن الكريم إلى بعض هذه الشبهات في مواضع مختلفة منها: ﴿ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ﴾ الدخان: ﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ والفرقان: ﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴾ والنحل ، وغيرها.).

وردّد بعض المستشرقين هذه الشبهات وغيرها وحاول إضفاء طابع البحث والدراسة وسمات الموضوعيّة عليها، كما هي الطريقة المضلِّلة المتّبعة لديهم في مثل هذه الحالات.

لذا نؤكد على إن الفهم الاستشراقي للقرآن الكريم قد يختلف اختلافاً كاملاً عن فهمنا له ، لأنهم لا ينظرون إلى القرآن الكريم نظرة تقديس، كنظرتهم إلى التوراة والإنجيل ، فيكون التقصير مفروضاً من داخل نفسية المستشرق تمليها ظروف الاجتماعية،و نزعات عدائية وتبشيرية حاقدة على الرسول صلىاللهعليه وسلم والإسلام.

بناء عليه كان من الواجب أن نقف موقف الحذر والحيطة من جهود المستشرقين الدارسين لتاريخ الإسلام ولسيرة النبي صلى الله عليه وسلم و الدراسات القرآنية ، فهم يخضعون دراساتهم القرآنية عادة إلى مناهج وطرائق واستنتاجات قد تكون بعيدة عن الفهم القرآني الأصيل ، وهنا يكمن الخطر.

تعريف الوحي

أ- المعنى اللغوي:

الوحي في اللغة تعني: وحيت إليه و أوحيت إذا كلمته بما تخفيه عن غيره، وأصله الإشارة السريعة، وقد يكون علي سبيل الرمز والتعريض، وقديكون بصوت مجرد أو بإشارة بعض الجوارح (الأصفهاني، المفردات:515)

قال ابن فارس : (و، ح، ي) أصل: يدلّ على إلقاء علم فى إخفاء أو غيره، و الوحى: الإشارة. و الوحى: الكتاب و الرسالة. و كلّ ما ألقيته إلى غيرك حتى علمه فهو وحى، كيف كان(فارس، معجم مقاييس اللغة: 93) (بن فارس : 93)،(رضا، 509).

إذن فالوحي بهذا المعنى والتعابير نجده في ساير القوامس اللغوية، كلمة تدلُّ على معانٍ؛ منها :الإشارة، والإيماء، والكتابة، والسرعة، والصوت، والإلقاء في الروع إلهامًا وبسرعة وبشدَّة، ليبقى أثره في النفس.

وقد يكون أصل الوحي في اللغة كلها الإعلام في خفاء(ابن منظور:). وله صورٌ عِدَّة، وهي كلُّها تتمُّ في خفاء، فهو الإشارة السريعة، ولتضمُّنه السُّرعة قيل.ومضمون التعريفات واحد فيما يبدو ، إذ الإشارة السريعة، اعلام عن طريق الرمز ، والرمز إيماء يستفيد منه المتلقي أمرا إعلاميا قد يخفى على الآخرين. ومن ثم قيل: " الكلمة الإلهية التي تلقى إلى أنبيائه وحي "(الأصبهاني:515.). باعتبار أسرارها إليهم من قبل ملك الوحي ، واختصاصها بهم دون سائر الناس.و قال ابن الأنباري :" سمي الوحي وحيا لأن الملك أسره على الخلق ؛ وخص به النبي صلىاللهعليه وسلم"(ابن منظور : 20 / 258.).

نخلص من هذا إن أصل الوحي هو : الإشارة السريعة على سبيل الرمز والتعريض ؛ وما جرى مجرى الإيماء والتنبيه على الشيء من غير أن يفصح به(الأصبهاني:515.).وذلك يكون بالكلام على سبيل الرمز والتعريض. وقد يكون بصوت مجرد عن التركيب وباشارة ببعض الجوارح وبالكتابة.**والوحي بهذا المعنى اللغوي يطلق على** :

1- **الإلهام الفطري للإنسان:** (هو ما يلقيه الله في روع الإنسان)كماحدث لأم موسى، قال تعالى: (وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ ...) القصص : [7] .

2- **الإلهام الغريزي للحيوان:** كالوحي إلى النحل، قال: (وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ) النحل: [68] .

3- **الإشارة السريعة في سبيل الرمز والإيماء** ، قال تعالى:(فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا)الأنعام : [112].

4- **وسوسة الشيطان:** و تزيينه الشر في نفس الانسان وفي ذلك يقول سبحانه وتعالى: (وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ) الأنعام: [١٢١].

5 - **ما يلقيه الله الى ملائكته من أمر ليفعلوه:** كقوله تعالى:(إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا .....) الأنفال: [١٢].

ب- المعنى الاصطلاحي:

يمكن تعريف الوحي بشكل عام والذي يخص الانبياء عليهم السلام : هو رسالة الله لانبيائه وتبليغهم بكل ما يجب عليهم عمله من اجل هداية المجتمع الانساني الى الله عبر الوسائل المتعددة. فقد عرفه الإمام القسطلاني بقوله : " إعلام الله سبحانه وتعالى عن أمور وقضايا ومعارف لمن اختاره الله لذلك، واصطفاه لتلقي رسالة بطرق خفية وسريةلا يعرفها البشر،ولا يستطيعون اكتناه أسرارها، لأنه ليست خاضعة لمعارف البشر العادية، وليسوا معتاديها أيضا " (ابن حجر:48)ومن هنا جاء قول جميل صليبا :" بان الوحي هو كلام الله المنزل على نبي من أنبيائه" .(صليبا:231.)

بناء عليه فالوحي بهذا المعنى: هوالقاء المعارف والاحكام من قبل الله تعالى على عباده لهدايتهم و يكون ذلك عن طريق الانبياء (عليهم السلام). وهو ما يؤكده الزهري ،بقوله: "الْوَحْيُ مَا يُوحِي اللَّهُ إِلَى نَبِيٍّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ فَيُثْبِتُهُ فِي قَلْبِهِ فَيَتَكَلَّمُ بِهِ وَيَكْتُبُهُ وَهُوَ كَلَامُ اللَّهِ وَمِنْهُ مَا لَا يَتَكَلَّمُ بِهِ وَلَا يَكْتُبُهُ لِأَحَدٍ وَلَا يَأْمُرُ بِكِتَابَتِهِ وَلَكِنَّهُ يُحَدِّثُ بِهِ النَّاسَ حَدِيثًا وَيُبَيِّنُ لَهُمْ أَنَّ اللَّهَ أَمَرَهُ أَنْ يُبَيِّنَهُ لِلنَّاسِ ويبلغهم إياه "(السيوطي :160)

جـ- المعنى الشرعي للوحي:

لا شك إن المقصود من لفظ (الوحي) في القرآن الكريم بموادّه المختلفة سالف الذكر ، نفس المعنى اللغوي؛ بناء عليه يمكن القول بأن التعريف الشرعي للوحي منحدر عن الأصل اللغوي في خصوصية الأسرار والاعلام السريع ؛ وما يصاحب ذلك من الإشارة والرمز اللذين يخفيان على الآخرين. فالوحي:هو النبوة المأخوذة من النبأ بمعنى الخبر، وهو وصول خبر الله – تعالى – بطريق الوحي إلى من اختاره من عباده لتلقي ذلك.(البوطي : 33)

فالوحي وكلامه تعالى، معناه: أن يُعلِم الله سبحانه تعالى – مَن اصطفاه مَن عباده كلَّ ما أراد إطلاعه عليه من ألوان الهداية والعلم، ولكن بطريقة سرِّيَّة خفيَّة غير معتادة للبشر، ويكون على أنواعٍ شتى.(الزرقاني:466.)

فمنه كما ذكرنا الإلهام الغريزي كالوحي إلى النحل، وإلهام الخواطر بما يلقيه الله في روع الإنسان السليم الفطرة كالوحي إلى أم موسى، ومنه وحي الناس لبعضهم البعض، ووحي الشياطين ويسمى بالوسوسة.

من هنا يمكن القول بأن الوحي: "إيقاع شيء في القلب يطمئنُّ له الصدر، ويخص به بعض أصفيائه[2]"(الزبيدي:67.)

فالنبي صلى‌الله عليه وسلم مثلاً تلقاه بغير صوت هو الالقاء في الروع ؛ وذلك بأن ينفث الله في روع النبي صلى‌الله عليه وسلم ما يشاء من أمر ؛ أو ينفث روح القدس ما أوحى إليه بتبليغه إياه ؛ فيكون ذلك من الوحي بوجه من الوجوه. وقد اكد النبي صلى‌الله عليه وسلم ذلك بقوله : " إن روح القدس نفث في روعي "(السيوطي: 1 / 129.). مصداق لقوله: ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْيًا ﴾ الشورى: 51

وقد وضح ذلك محمد عبده بقوله: " بأنه عرفان يجده الشخص في نفسه مع اليقين بأنه من قبل الله بواسطة ؛ أو بغير واسطة ، والأول يتمثل لسمعه بصوت أو بغير صوت "(رضا، : 28.)

يتضح من ذلك إن الوحي" صلة بين الرب – سبحانه وتعالى – وبين مَن يصطفيه من خلقه لتحمُّل أمانة التبليغ عن الخالق إلى الخلق، وهذه الصلة أو تلك العلاقة يصحبها علمٌ ضروري بمصدرها، ويصاحبها ظواهرُ نفسية وبدنية للمصطفى، ويتبعها آثارٌ توجيهية، يعلنها المصطفى للناس حوله"(المسير:23،77.)

فالوحي من معانيه العامة أنه الإعلام الخفي السريع، الخاص بمن يُوجَّه إليه، بحيث يخفى عن غيره، وقد ورد لفظ (الوحي) في القرآن الكريم في واحد وسبعين موضعاً، ورد في أربعين منها بصيغة الفعل، من ذلك قوله تعالى﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ ﴾ النحل:68 ،

وورد بصيغة الاسم في واحد وثلاثين موضعاً، من ذلك قول الباري عز وجل﴿ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ ﴾ طه:114 . وبالاستقراء نجد استعمال لفظ الوحي في القرآن الكريم ترجع إلى معنى (الإلقاء)، وهو المعنى اللغوي لهذا اللفظ؛ وهذا الإلقاء قد يكون عن طريق الإشارة، أو العبارة، أو الإلهام، أو الوسوسة، أو الرؤيا المنامية.و من هنا جاءت لفظة الوحي كدلالة على الإعلام الخفي السريع سالفة الذكر.

د- أوجه الوحي في القرآن الكريم:

لقد استخدم الله طرقا عديدة ليبلغ بها الإنسان الوحي، و تحدث عن صور وانواع الوحي الالهي للانبياء عليهم السلام واجمع اية قوله تعالى﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْياً أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾ سورة الشورى، الآية: 51.

فاستناداً إلى الآيات القرآنية استخلص المسلمون ثلاثة انواع من الوحي من بين أنواع الوحي المختلفة وهي:

1- قوله تعالى (وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْياً)

الوحيُ الخاصُّ، وهو إعلامٌ في خفاء بإلقاء الكلام في الروح؛ أي: يقذف العلم في قلب النبي فيجده عن غير جهد، ولا نشاط فكري، بل يكون حصولاً ضروريًّا، ويشعر بأنه طارئ بعد أن لم يكن، فيكون بيِّنةً له على أنه يتلقَّى من مصدر خارجي عن نفسه وعن قدراته العقلية.

قال بعض أهل التفسير: "إن المراد بالوحي هنا الإعلام في المنام (ابن الجوزي: 1273). فجاء الوحي **بمعنى الاشارة** كما في قوله تعالى في القرآن على لسان زكريا عليه الصلاة والسلام حينما قال: ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاثَ لَيَالٍ سَوِيّاً ،فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيّاً﴾.سورة مريم: 10، 11

قال الشيخ الطبرسي : (فأوحى) أي: أشار إليهم بيده، وقيل: كتب لهم على الأرض (الطبرسي : 445) ولذلك جاء وقوله : ﴿ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾ مريم: 111 ،و قوله: ﴿ قَالَ آيَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ إِلاَّ رَمْزًا ﴾ آل عمران: 411 ، فيه رمز يدل على الإشارة إما بالشفة والصَّوت الخفي، وعبَّر عن كل كلام كإشارة بالرمز(الأصفهاني:209.) ، فكان الكلام المستثنى من الحكم هو(الوحي والرمز)بمعنى الإشارة.

بل وقد جاء هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُ ﴾ سورة الأنعام: 121وقوله سبحانه: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ سورة الأنعام: 112اشارة الى حالة الشياطين ووسوستها الى اوليائهم من الانس والجن بالقاء الشبهات والشكوك امام حركة الانبياء وحركة الصالحين في الارض .

كما جاء الوحي بمعنى الرؤيا الصادقة التي يراها الانبياء عليهم السلام كما في قوله عزو جل عن إبراهيم عليه السلام: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ سورة الصافات: 102وقوله تعالى في سورة الفتح: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحاً قَرِيباً﴾ ، و الرؤيا: وهي ما يراه النائم من صورٍ وعلومٍ حالَ نومه وغياب حواسه وعقله عن العالم المحيط به، ومتَّفقٌ على أن رؤيا الأنبياء حق؛ ﴿قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ الصافات: 10-55 ، وهذه رؤيا إبراهيم – عليه السلام – يذبح إسماعيل، وكان تصديقه لها بامتثال ما أمر به؛ ﴿وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا﴾ يوسف: 100 ، وهذه رؤيا يوسف وبشارة تمكُّنه في الأرض.

أمَّا رؤيا الناس فقد تصدق، وقد تكون أضغاث أحلام، وهي من بقايا النُّبوَّة، ومن أدلة إمكان ثبوت النبوة عقلاً وواقعًا :﴿ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ ﴾ يوسف: 4-33، وقد وقعت رؤيا عزيز مصر كما رآها وفسَّرها يوسف – عليه السلام – فكانت حقًّا :﴿ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْه ﴾ يوسف: 3-66 ، وقد وقعت الرؤيا.

غير أنَّ الرؤيا تحتاج إلى تعبيرٍ وهو تفسير، وهذا علمٌ خاصٌّ له أهله وشروطه، ولا يؤتاه أيُّ أحد؛ ﴿ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ ﴾ يوسف: 10-11 .

فدلَّ على أن تعبير الرُّؤيا علم خاصٌّ يعلِّمه الله لمن يشاء، وقد أجمع العلماءُ على أن المنامات والرُّؤى لا يفتى بها ولا تكون دليلاً على صحة أو فساد، إلا رؤى الأنبياء؛ لأنها وحي، وأما رؤى الصالحين فهي للإرشاد إلى الدَّليل وليست دليلاً بذاتها، فالقذف في الرُّوح فسَّره الكثير بأنَّه إعلامٌ في المنام، وهذا هو المسمى إلهامًا.

جاء الوحي بمعنى الإلهام الفطري للإنسان ،كما في قال تعالى : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى ﴾ القصص: 7، راجع المائدة :111،القصص : 3، طه : 38 فهو "إيقاع شيء في القلب يطمئنُّ له الصدر، ويخص به بعض أصفيائ"(الزبيدي:67.) 3، وهذا خاصٌّ بالبشر، أما البهائم فهو غريزة تجعلها تحسُّ ما ينفعها وما يضرها، قال الرازي: ،﴿ وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ ﴾ النحل: 68.

2- قوله تعالى(وَرَاءِ حِجَابٍ):

كأن يكلِّم الله – تعالى – النبي من وراء حجاب مباشرة بلا واسطة، يسمع النبيُّ كلامَ الله – تعالى – من غير أن يراه، كما كلَّم الله موسى – عليه السلام – دون أن يرى موسى ربَّه، وهو خاصٌّ به وبنبيّنا – عليهما الصلاة والسلام – وآدم في الجنة؛ قال – تعالى – لموسى :﴿ قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالاَتِي وَبِكَلاَمِي ﴾ الأعراف: 14-44 ، ﴿ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي ﴾ الأعراف: 14-33 ،﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيماً ﴾سورة النساء: 164وقال: ﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾الأعراف،: 143 وذهب جمهور أهل السُّنَّة على أن كلام الله – تعالى – صفة ذاتية ثبوتية قديمة.

وأما النبي صلى الله عليه وسلم فقد ورد في تفسير هذه الايات انه وقع له الكلام الإلهي المباشر في ليلة المعراج، ويفهم ذلك من آية النجم، ومن حديث المعراج، ففي آية النجم؛ قال الله عز وجل: ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى * فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى ﴾ النجم: 8-9

3- قوله تعالى (يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ):

الإرسال:. وهو إن يرسل الله سبحانه وتعالى رسولاً؛ كجبريل عليه السلام ، إلى الرسول صلى الله عليه وسلم فيُوحِي إليه ما أُنزِل من القرآنقد وُصِف المَلَك جبريل عليه السلام بأنَّه روح وقدس وأمين وشديد القوى ومكين، قال تعالى :﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ﴾ الشعراء ،وقال :﴿ إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى * عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ﴾ النجم: 4- 55 ، وكلُّها صفاتٌ للرسول الملائكي دالَّة على عناية الله – تعالى – بنقل الوحي؛ لأنَّ الناقل هو من أهل الأمانة والتمكُّن والمرتبة العالية عند ربِّه وهو روح القدس؛ لأنه ينزل بما فيه حياة قلوب الناس، فالله كلَّف أقوى وأمكَن ملائكتِه بنقل وحيه وهذا تعظيمٌ لوحيه، فعظمة الرسالة من عِظَم المرسِل، وعظمة الرسول الحامل لها.

فبيَّن صدق وأمانة الرسول، وأنه لا يكذب ولا يختلق شيئًا من عنده، وبيَّن أن معلِّمَه متمكِّنٌ من تبليغه الوحي؛﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ * لأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ* ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴾ الحاقة: 44-466 ،ولم يحدث ذلك فدلَّ على أنَّه لم يتقوَّل شيئًا من عنده؛﴿ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾التكوير: 2-44، فلا يبخل بشيء مما يعلم من الغيب – وهو الوحي – فهو حريصٌ على إبلاغ كل ما أُمِر به،﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾التوبة: 12-88 ،

والله تكفَّل بذلك بحفظ كلامه؛ ليصل إلى عباده عبر أنبيائه كما أراد :﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾الحجر: 9 فالله هو مَن اختار رسله عن علم؛ ﴿ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلاَئِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاس ﴾ الحج: 7-55،

فالنُّبوَّة ليست صفةً راجعة إلى النبي بكسبٍ أو رياضة أو اتِّصالاتٍ روحانية، بل منحة من الله يخصُّ بها مَن يشاء .قال تعالى: ﴿ اتَّبِعْ ما أوحِيَ إليكَ مِن رَّبِّكَ لا إلهَ إلا هُوَ ﴾الأنعام : 10 وقال تعالى:﴿إِنْ أَتَّبِعُ إلا ما يُوحَى إليّ ومَا أنا إلا نذيرٌ مُّبينٌ﴾ الاحقاف : 9،وقال تعالى﴿ قُلْ إنما أنا بشرٌ مثلُكُم يُوحَى إليّ ﴾ الكهف : 110.

لذا كان جهر الأنبياء كلهم بأنَّهم بشرٌ كباقي الناس، غير أنهم كُلِّفوا دون غيرهم بنقل الوحي للناس : ﴿ قُلْ لاَ أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلاَ أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلاَ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ ﴾ الأنعام: 50 ﴿ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلاَّ بَشَرًا رَسُولاً ﴾ الإسراء: 93﴿ قُلْ لاَ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلاَ ضَرًّا إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُون ﴾الأعراف: 18-88

﴿ إِنَّا أَوْحَيْنا إِلَيْکَ کَما أَوْحَيْنا إِلى نُوحٍ وَ النَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَ أَوْحَيْنا إِلى إِبْراهِيمَ وَ إِسْماعِيلَ وَ إِسْحاقَ وَ يَعْقُوبَ وَ الْأَسْباطِ وَ عِيسى وَ أَيُّوبَ وَ يُونُسَ وَ هارُونَ وَ سُلَيْمانَ وَ آتَيْنا داوُدَ زَبُوراً. وَ رُسُلًا قَدْ قَصَصْناهُمْ عَلَيْکَ مِنْ قَبْلُ وَ رُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْکَ وَ کَلَّمَ اللَّهُ مُوسى تَکْلِيماً. رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَ مُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَکُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَ کانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَکِيماً﴾ النساء: 163 ﴿ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ ﴾ الأنعام: 19

موقف بعض المستشرقين المتعصبين

من ظاهرة الوحي

ليس غريبة تلك الحملات الاستشراقية الساعية للنيل من القرآن الكريم، تكذيباً، أو تشويها، أو تحريفاً، أو ، أو تشكيكاً في مصدرية الوحي. فلقد كان النص الديني ولازال،"كتاباً مُقلقاً للغربيين، ومُحيراً لأفكارهم واتجاهاتهم؛ ذلك لان الله سبحانه وتعالى تحدى به الأنس والجن، وأعجزهم عن أن يأتوا بأقصر سورة مثله؛ قال تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ الاسراء : 88، وقال تعالى: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ البقرة : 23-24

وشك إن تاريخ تعاملهم معه حافل بالمتناقضات، وهو ما يؤكده المستشرق الفرنسي ريجيس بلاشير بقوله : "قلما وجدنا من بين الكتب الدينية الشرقية كتاباً بلّبل بقراءته دأبنا الفكري أكثر مما فعله القرآن"(بلاشير:41)4.

بل وقد اعترف المستشرق (شيبس) بعجزهم ونسب هذا الوحي الى الله بقوله : "يعتقد بعض العلماء أنَّ القرآن كلام محَمَّد، وهذا هو الخطأ المحضُ, فالقرآن هو كلام الله تعالى الموحى على لسان رسوله محَمَّد. وليس في استطاعة محَمَّد، ذلك الرجل الأمّي في تلك العصور الغابرة أنْ يأتينا بكلام تحار فيه عقول الحكماء ويهدي به الناسَ من الظلمات إلى النور. وربَّما تعجبون من اعتراف رجلٍ أوروبّي بهذه الحقيقة. لكن لا تعجبوا فإنّي درستُ

القرآن فوجدتُ فيه تلك المعاني العالية والنظم المحكم، وتلك البلاغة التي لم أرَ مثلها قطُّ، فجملة واحدةٌ تغني عن مؤلَّفات"(الحسيني: 18. 19)

ولما عجز أرباب الفصاحة والبلاغة وأئمة البيان من عرباً وغيرهم، أن يأتوا بأقصر سورة مثله، حاول بعض المستشرقين التشكيك في الوحي كونه معجزة و ظاهرة تخرق نواميس الطبيعة من حيث الصلة الكاملة بالله سبحانه وتعالى،وتداعوا للتشكيك فيها بمختلف الوسائل ، فأثاروا الشبهات، وتعلقوا بالأوهام، فوصفوا النبي صلى‌اللهعليه وسلم بالضلال،والقرآن من ورائهم يناديهم بقوله : ﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ * وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ * ﴾ النجم 1-2-3-4

ولعلّ من أخبث الأساليب في إثارة الشبهة حول الوحي، هو الأُسلوب الذي حاول أن يُضفي على النبيّ محمّدٍ صلّى الله عليه،صفات الصدق والأمانة والإخلاص والذكاء، ولكن يفترض أن يتخيّل له أنّه ممّا يوحى إليه، وهو ما يُسمّى بالوحي النفسي . فقد زعم جملة من المستشرقين بأن محمد صلى‌اللهعليه وسلم كان يفكّر ويتأمّل ويتقلّب بين الآلام والآمال، حتّى أيقن أنّه هو النبيُّ المنتظَر الذي يبعثه الله لهداية البشرية، وتجلّى له هذا الاعتقاد في الرؤى المناميّة، ثمّ قَوِيَ حتّى صار يتمثّل له الملك يلقّنه الوحي في اليقظة.

ولم يكن ذلك الا إنكار لنبوة النبي صلى‌اللهعليهوسلم أو تعنتا مبعثه التعصب الديني الذي يملأ نفوس أكثرهم ،كرهبان وقسس ومبشرين؛ متبعين في ذلك ما زعمه المشركون الجاهليون في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم. بل إن بعض المستشرقين من امثال (: تيكولا دكيز ، وهو تنجر ، وبلياندر ، وبريدو) قد وصفوا:" القرآن بأنه نسيج من الخرافات ، وبأن الوحي مجموعة من البدع "(الصغير:16).

بل تطاول بعضهم على شخص النبي صلى‌الله عليه وسلم فأرجع تلك الحالة التي تنتابه ساعة الوحي إلى(صرع) ومنهم من يرجحه إلى تخيلات كانت تملأ ذهنه وعقله،ومنهم من يفسرها بمرض نفسي،امثال جوستاف لوبون حيث يقول:"إن محمدا كان مصابا بالصرع...ومحمد كان يجد في هوسه ما يحفزه إلى اقتحام كل عائق،ويجب على من يود أن يفرض إيمانه على الآخرين أن يؤمن بنفسه قبل كل شيء "(لوبون : 133).

بل ويرى أن التصرفات التي تعتري الرسول إبان نزول الوحي الإلهي عليه ما هي إلا أصابته بالصرع الذي ينتابه في هذه اللحظات، فيعتريه احتقان فغطيط ،فغثيان – ويرى أنه يجب اعتبار محمد من فصيلة

المتهوسين من الناحية العلمية كأكبر مؤسسي الديانات – ويقول في هذا الصدد : ولا أهمية لذلك فلم يكن ذو المزاج البارد من المفكرين هم الذين ينشئون الديانات، ويقودون الناس، وإنما أولو الهوسهم الذي نمثلوا هذا الدور، وهم الذين أقاموا الأديان، وهدموا الدول، وأثار الجموع وقادوا البشر، ولوكان العقل لا الهوسه والذى يسود العالم لكان للتاريخ مجرى أخر (الزرقاني:66) .

أما الألماني " هوبرتجريم " فيذهب إلى أكثر من ذلك ويرى أن محمداً لم يكن في بداية أمره يبشر بدين جديد، ولكنه اقتنع بضرورة إصلاح مجتمعه في مكة الذي يعاني من الفساد، فوضع خطة لمساعدة الفقراء عن طريق فرض ضريبة علي دخول الأغنياء، ولكنه فهم من أن الحظ لايؤاتيه بقبول هذاالحلم نقبله مآما أنه لم يتخيل خطة لصراع الطبقات على طريقة القرنين –التاسع عشر والعشرين، ومن هنا فقد استخدم فكرة الحساب يوم القيامة كوسيلة للضغط على هؤلاء الأغنياء لقبول خطته الرامية إلى الإصلاح الاجتماعي في مجتمعه، ففرض عليهم الزكاة لتطهير أموالهم وأنفسهم (لوبون: 141. 142).

وهذه لاشك إنها افتراضات متناقضة ، فقالوا أضغاث أحلام وقد أيقنوا بصحوة النبي صلىاللهعليه وسلم ويقظته ، وردوه إلى الكذب والاختلاق وهم أنفسهم وصفوه من ذي قبل بالصادق الأمين ، وقد عبر القرآن عن ذلك : ﴿ بل قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ﴾ الأنبياء: [5]. بل ووصفوه بالجنون : ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ الحجر: [6] . ﴿ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ﴾ الدخان: [14].

يتضح من هذا أن دافع هؤلاء المستشرقين وغيرهم الكثير ما هو الا الانقاص من مكانة القرآن الكريم ، لتقليل أهميته،وزعزعة النفوس عنه؛ من خلال إثار الشبهات حول تأريخ الوحي دون دليل علمي يستند عليه ، فأتوا بتأويلات وتفسيرات وتعليلات ، حاولوا من خلالها تفسير الحالة التي تنتاب الرسول صلى الله عليه وسلم إبان نزول الوحي عليه.

والجدير بالذكر أن انكارهم للوحي قادهم بداهة إلى إنكار المصدر الإلهي للقران الكريم الذى أجمعوا أيضا على بشريته. فإثبات الوحي أو نفيه عن رسالة الإسلام، يبنى عليه نفي نبوة النبي صلى الله عليه وسلم ورسالته العظيمة، أو إثباتها.

فقد حاول بعض المستشرقين المتشددين والمتعصبين، الذين غلب عليها طابع الانانية ،وعدم الحياد والموضوعية ؛الطعن والتشكيك في مصدرية الوحي؛ واتهام الرسول صلى الله عليه وسلم بتلقيه من الامم السابقة نصارنية كانت ام يهودي.

وهو ما أكده المستشرقين "تيودور نولدكه" في كتابه "تاريخ القرآن" بقوله: أن"القرآن ليس بمعجزة لأن فواتحه مأخوذة عن التوراة"(الشفاقي :312).معضدا بذلك رأي المستشرق "لوت" الذي زعم أن النبي صلى الله عليه و سلم كان متأثراً بيهود المدينة، وخاصة بفكرة فواتح السور مثل:حَم، و طَسم،و الم. ولكن ياتي الرد القرآني صريح بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَـٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ ﴾ النحل : [103].

واتضح من ذلك أن المستشرقين الحاقدين لم يأتوا بجديد في جل دَّعواهم بشأن القرآن ومصدرية الوحي ، وأنَّ ما أوردوه من شبهات حول النبي صلى الله عليه وسلم ومصدرية الوحي هو نفس ما قاله كفار قريش، ومَنْ عاصرهم من أهل الكتاب يهود نصارى.

ومن هنا اجتمعت أهداف المستشرقين في العصر الحديث مع أهداف أهل مكة في الجاهلية في التأكيد على إن الدين الإسلام ليس من عند الله، بل هو من أفكار النبي محمد صلىالله عليه وسلم التي أخذها من الامم السابقة اليهودية والنصرانية؛ وأن القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة صياغة جديدة باللغة العربية، لما ورد في التوراة والإنجيل؛ كقصة آدم وموسى عليه السلام وغيرها من القصص، فالقصص القرآني ترديد لما جاء في العهد القديم والجديد وهو دليل النقل في نظرهم.

و الوحي بهذا الفهم الاستشراقي، يختلف جذريا عن المفهوم القرآني للوحي ؛ وهو مغاير لمفهوم الوحي وطريقته التي خاطب الله بهما رسله وعلمهم من خلالهما ، فالوحي الإلهي عملية تخضع لتصور حوار علوي بين ذاتين : " ذات متكلمة آمرة معطية ، وذات مخاطبة مأمورة متلقية "(مالك بن بني: 194)، (الصالح ، : 27).

من هنا كانت لظاهرة الوحي تفسيرات خاطئة عند بعض المستشرقين فلقد ادعى بعض الباحثين الكهنوتيين بأن الوحي :"هو حلول روح الله في روح الكتاب الملهمين لإطلاعهم على الحقائق الروحية والأخبار الغيبية من غير أن يفقد هؤلاء الكتاب بالوحي شيئا من شخصياتهم فلكل منهم نمطه في التأليف، وأسلوبه في التعبير "[5].

مؤكدين على إن المعلومات التي جاءته من هذا الوحي، مستمدة في الأصل من تلك المعلومات، التي حصل عليها من اليهود والنصارى، أومّا هداه إليه عقله وتفكيره في التمييز بين ما يصحّ منها وما لا يصح، ولكنّها كانت تتجلّى وكأنّها وحي السماء، وخطاب الخالق عزّ وجلّ، يأتيه بها الناموس الأكبر، الذي كان ينزل على موسى بن عمران وعيسى بن مريم، وغيرهما من النبيّين (عليهم السلام).

رد المستشرقين المنصفين على المنكري للوحي

تكفل بعض المستشرقين المنصفين بالردّ على منكري ظاهرة الوحي، من أمثال: السير وليام موير،و إدوارد مونتيه، و ارنست رينان،و ارب ثونت،وغيرهم الكثير؛ فهذا مثلاً ،السير وليام موير ،الذي كان خير ممن تحدث في كتابه(حياة محمّد) عن منزلة القرآن ودقّة وصوله سالماً الى الاجيال ، يعد خير ردّ على التجنّي والحقد الأعمى على النبي الامي محمد صلى الله عليه وسلم ؛ فنفى ما افتراه الجاهلون على النبي صلىاللهعليه وسلم من حالات الصرع المدعاة ، لأن نوبة الصرع لا تذر عند من تصيبه أي ذكر لما مر به أثناءها ، ذلك لأن حركة الشعور والتفكير تتعطل فيه تمام العطل (William Muir:.14.)

أما الستشرق إدوارد مونتيه فيؤكد على صدق محمد صلى الله عليه وسلم فيقول: "كان محمد نبيًّا صادقاً، كما كان أنبياء بني إسرائيل في القديم، كان مثلهم يؤتى رؤيا ويوحَى إليه"(رضا:45) وقال أيضا: " كان محمد نبيًّا بالمعنى الذي يعرفه العبرانيون القدماء، ولقد كان يدافع عن عقيدة خالصة لا صلة لها بالوثنية" (الشيباني:117).

يتضح من هذا إن مونتيه يثبت الوحي للنبي صلى الله عليه وسلم وينفي القول بعدمه وينفي أيضا أخذه لشريعته من كتب اليهود أو النصارى. وهو ما يؤكده المستشرق الفرنسي رينان بقوله: "ان القرآن هو أساس الإسلام , وقد احتفظ بكينونته القديمة دون ان يعتريه اقل تبديل او تحريف , وعندما نستمع إلى بعض آياته وما فيها من بلاغة وسحر تأخذنا رجفة الوله والوجد , وبعد ان نتوغل فى دراسة روح التشريع التى تنطوى عليها بعض تلك الآيات الالهية لا يسعنا الا ان نعظم هذا الكتاب العلوى ونقدسه "(السبع . 94).

وهو ما اثبته (ارب ثونت) أيضا بقوله: " وقد ظل القرآن كما هو حتى اليوم بدون اى تحريف او تبديل لا من المتحمسين له , ولا من ناقليه إلى لغات أخرى , ولا ممن يتربصون به الدوائر , وهو موقف لم يقفه مع الأسف اى كتاب من كتب العهد القديم والجديد معا"(رضوان :586).

بل والى جانب هؤلاء لقد أنصف كثير من الغربيين محمدًا صلى الله عليه وسلم ،من أمثال: تو ماس كارليل، ولامارتين ماري لوي دي، والكونت كاستري، وسنكس، والروسي تولستوي، وغيرهم الكثير. وكان هذا الإنصاف ناتجًا عن دراسة موضوعية مستفيضة لسيرة وحياة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ، وقد اكتملتْ في هذه الدراسة عناصر المنهج العلمي الحديث، فخرجت نتائجهم إيجابية تجاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأصبحت شهاداتهم نورًا يهتدي به الباحثون.

فهذا مثلاً المفكر الفرنسي لامارتين يقول في كتابه(السفر إلى الشرق) : "أترون أن محمدًا كان صاحب خداع وتدليس، وصاحب باطل وكذب؟! كلا، بعدما وعينا تاريخه، ودرسنا حياته، فإنَّ الخداع والتدليس والباطل والإفك.. كل تلك الصفات هي ألصق بمن وصف محمدًا بها"(لامارتين: 84).

ويؤكد المستشرق توماس كارليل في كتابه(الابطال) على ذلك حين يصف النبي محمد صلى الله عليه وسلم فيقول: "لسنا نعدُّ محمدًا قطُّ رجلاً كاذبًا متصنِّعًا، يتذرَّع بالحيل والوسائل إلى بُغيةٍ، أو يطمع إلى درجة مُلك، أو سلطان، أو غير ذلك من الحقائر والصغائر، وما الرسالة التي أدَّاها إلاَّ حقٌّ صراح، وما كلمته إلاَّ صوت صادق صادر من العالم المجهول، كلا، ما محمد بالكاذب ولا الملفِّقُ، وإنما هو قطعة من الحياة قد تَفَطَّر عنها قلب الطبيعة، فإذا هي شهاب قد أضاء العالم أجمع"(كارليل: 58-60.)

من هنا يشير لامارتين في كتابه (تاريخ الاتراك) الى عبقرية الرسول صلى الله عليه وسلم فيقول " من ذا الذي يجرؤ أن يقارن أيًّا من عظماء التاريخ الحديث بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم في عبقريته؟ فهؤلاء المشاهير قد صنعوا الأسلحة وسَنُّوا القوانين وأقاموا الإمبراطوريات، فلم يجنوا إلا أمجادًا بالية لم تلبث أن تحطمت بين ظهرانَيّهم.. لكنَّ هذا الرجل محمدًا صلى الله عليه وسلم لم يَقُدِ الجيوش، ويَسِنّ التشريعات، ويُقم الإمبراطوريات، ويحكم الشعوب، ويُرَوِّض الحكام فقط، وإنما قاد الملايين من الناس فيما كان يُعَدُّ ثلث العالم حينئذٍ. ليس هذا فقط، بل إنه قضى على الأنصاب والأزلام والأديان والأفكار والمعتقدات الباطلة.. إنه بالنظر لكل مقاييس العظمة البشرية، أودُّ أن أتساءل: هل هناك من هو أعظم من النبي محمد؟"(لامارتين: 277)

هل اليهودية و المسيحية مصدر القرآن الكريم.؟

سعى المستشرقون إلى النيل من القرآن الكريم لإهدار قدسية كونه وحياً معصوماً لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه، حتى يصبح نصاً قابلاً للنقد في محتواه. وحتى يضمنوا انحسار الإسلام بغية استئصاله و القضاء

عليه، فبرز مجموعة من المستشرقين الحاقدين على الإسلام، الذين شعروا بالقلق من القرآن الكريم ؛ من امثال المستشرق بلاشير الذي يقول في مقدمة ترجمته للقرآن الكريم :" قلما وجدنا بين الكتب الدينية الشرقية كتاباً بلبل بقراءته دأبنا الفكري أكثر مما فعله القرآن"(زقزوق:95) (بلاشير:41)[6] ونادى بضرورة النيل منه عبر تكذيب المصطفى الأمين ،و التشكيك في الوحي ،و في نسبته إلى الله رب العالمين.

ونادي بعضهم الأخر بالتغيير أمثال المستشرق "كنيث كراج" (K.Cragg) رئيس تحرير مجلة العالم الإسلامي فقال:" إن على الإسلام إمّا أن يعتمد تغييراً جذرياً فيه- القرآن الكريم - أو أن يتخلى عن مسايرة الحياة"(زقزوق:97)[7]. حيث بذلوا قصارى جهودهم من أجل غرس هذه الأوهام في أذهان الناس. هكذا فكرت قريش ومن والاها؛ وإلى هذا ركن المستشرقون الحاقدين على الإسلام.

فهذا ريتشارد بيل (R.Bell) مثلاً يقول:"محمد قد ألف القرآن من عنديته و(...) اعتمد في معلوماته على القصص التاريخية مثل عاد و ثمود"(ريشارد: 98-99.) (الشفاقي:300)، التي استمدها من مصادر عربية،في حين أن الجانب الأكبر من المادة التي استعملها ليفسر تعاليمه و يدعمها قد استقاه من مصادر يهودية و نصرانية.وقد كانت فرصته في المدينة للتعرف على ما في العهد القديم أفضل من وضعه السابق في مكة حيث كان على اتصال بالجاليات اليهودية في المدينة، و عن طريقها حصل على قسط غير قليل من المعرفة بكتب موسى على الأقل (زقزوق:84).

وهو ما أكده المستشرق اليهودي إبراهام جيجر في كتابه (ماذا اقتبس محمد من اليهودية) بقوله: " إن القرآن مأخوذ باللفظ أو بالمعنى من كتب اليهود" (البنداق:108).

و أيده في ذلك برنارد لويس، الذي زعم أن المصطفى صلى‌الله‌عليه‌وسلم خضع للتأثيرات اليهودية و المسيحية، و أنه لم يأخذ قصص القرآن من الكتاب المقدس مباشرة، و إنما أخذها بطريقة غير مباشرة من

التجار و الرحالة اليهود و النصارى (غراب : 112) . ومؤكداً على ذلك بقول: " أن محمدًا خضع للتأثيرات اليهودية والمسيحية كما يبدو ذلك واضحًا في القرآن "(غراب : 112.).

ويشرح جولدتسهر ذلك قائلا: " تبشير النبي العربي ليس إلا مزيجًا منتخبًا من معارف وآراء دينية عرفها بفضل اتصاله بالعناصر اليهودية والمسيحية التي تأثر بها تأثرًا عميقًا، والتي رآها جديرة بأن توقظ في بني وطنه عاطفة دينية صادقة.... فصارت عقيدة انطوى عليها قلبه، كما صار يُعد هذه التعاليم وحيًا إلهيًّا "(جولدتسهر:12).

ويقول كذلك "لقد أفاد – أي القرآن – من تاريخ العقهد القديم وكان ذلك في أكثر الأحيان عن طريق قصص الأنبياء" (جولدتسهر:15) ، بل أكد على: " إن الصلاة التي كان بصورتها الأولى من قيام وقراءة وبما فيها من ركوع وسجود، وبما يسبقها من وضوء، تتصل بالمسيحية الشرقية ... والصوم الذي جعل أولاً في اليوم العاشر من الشهر الأول أي عاشوراء ، محاكاة للصوم اليهودي الأكبر ، ثم نقل بعدئذٍ إلى شهر رمضان "(جولدتسهر:24)

ويقول أيضا: " قد اتخذ عن البارسية تعليماً هاماً، وهو إنكار يوم السبت على أنه يوم ارتاح الله فيه من العمل فصار راحة عامة "... " وبعد أولئك جميعاً نجد النحلة البارسية الزرادشتية .. لم تمر دون أن تترك أثراً في شعور النبي العربي فقد قابلها بالوثنية وبالدين الموسوي والدين المسيحي أيضاً" (جولدتسهر:26).

بل حاول المستشرق توراندريه إن يؤكد ذلك بقوله: "لا شك أن الأصول الكبرى للإسلام مستقاه من الديانتين اليهودية والمسيحية وهذه حقيقة لا يحتاج إثباتها إلى جهد كبير"".(عامر: 208) . وهذا ايضا ما حاول إن يثبته المستشرق ترنون بقوله: " الصوم أول ما شرع كان تقليدياً لما عند اليهود ثم بدل وغير وصار أشبه بصوم النصارى مع شيء من التغاير". ".(عامر: 209) ويؤيده المستشرق س. د. جوتيين يقول : "إن أمعان النظر في النصوص الدينية الموجودة في القرآن لَيَدُلُّ على التشابه المدهش بينها وبين الأدب اليهودي والمسيحي، ولا يمكن أن يفسر هذا إلا بالاتصالات الشخصية الطويلة والقريبة، وكذلك على مدى الأثر البعيد المدى الذي تركه النشاط التبشيري في الأدب العربي حتى قبل الإسلام"(جوتين: 49-50). بل ويقول غوستاف لوبون: "وإذا

أرجعنا القرآن إلى أصوله أمكننا عدّ الإسلام صورة مختصرة عن النصرانية"(لوبون: 158). بناء عليه يقول المستشرق أندرسون: "ليس من شك في أن محمداً اقتبس أفكاره من مصادر التلمود، وكتب الأساطير اليهودية والمصادر المسيحية".(عامر: 208)

رد شبهة تأثر القرآن الكريم بالديانات السابقة:

لقد أنكر الغالبية العظمى من المستشرقين نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وشككوا في الوحي ، بل ادَّعَوا أن القرآن الكريم من وضع محمد صلى الله عليه وسلم. حاولوا نفي ظاهرة الوحي الإلهي لمحمد صلى الله عليه وسلم ؛ ذلك لان نفيه عن رسالة الإسلام ، ينبني عليه نفي نبوته صلى الله عليه وسلم ورسالته.

بناء عليه رد بعض المستشرقين المنصفين على هذه الاباطيل من أمثال: ماس كارليل، ولامارتين،و ماري لوي دي، والكونت كاستري، وسنكس، والروسي تولستوي، وغيرهم .

فهذا مثلاً المستشرق توماس كارليل يرد على الذين قالوا بأن القرآن الكريم مقتبس من الديانات السابقة بقوله : "علينا أن لا ننسى شيئاً وهو أن محمداً صلى الله عليه وسلم لم يتلق درساً عن أستاذ أبداً، ويظهر لي أن الحقيقة هي أن محمداً عليه السلام لم يكن يعرف الخط والقراءة، وكل ما تعلمه هو عيشة الصحراء وأحوالها، وعجيب والله أمية محمد، نعم إنه لم يعرف من العالم ولا من علومه إلا ما تيسر له أو يبصره بنفسه أو يصل إلى سمعه"(شلبي:301) ويؤيده هنري كاستري بقوله:"ثبت إذن أن محمداً لم يقرأ كتاباً مقدساً، ولم يسترشد في دينه بمذهب متقدم عليه"(شلبي:301).

بل وقد دافع الفيلسوف الإنجليزي لايتنر على الوحي المنزل على خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم ويرد على القائلين بأن القرآن مقتبس من الديانات السابقة بقوله: "بقدر ما أعرف من دين اليهود والنصارى أقول بأن ما علمه محمد عليه السلام ليس اقتباساً، بل قد أوحي إليه من ربه، ولا ريب بذلك طالما نؤمن بأنه قد جاءنا وحي من لدن عزيز عليم. وإني بكل احترام وخشوع أقول: إذا كان تضحية المصالح الذاتية، وأمانة المقصد، من العلامات الظاهرة الدالة على نبوَّة محمد عليه السلام أنه قد أوحي إليه"(ماضي: 149)

وينفي هنري كاستري اقتباس النبي عليه السلام من الديانات السابقة بقوله:"ثبت إذن أن محمداً لم يقرأ كتاباً مقدساً،ولم يسترشد في دينه بمذهب متقدم عليه" (ماضي: 149)

هذا ايضا إدوارد مونتيه يؤكده على صدق النبي صلى الله عليه وسلم وانه يوحى إليه لما اوحي لغيره من الانبياء السابقين بقوله:"كان محمد نبيًّا بالمعنى الذي يعرفه العبرانيون القدماء، ولقد كان يدافع عن عقيدة خالصة لا صلة لها بالوثنية"(الشيباني: 117) وقال أيضا:"كان محمد نبيًّا صادقاً،كما كان أنبياء بني إسرائيل في القديم،كان

مثلهم يؤتى رؤيا ويوحَى إليه" (رضا: 45). فهو بذلك يثبت الوحي للنبي صلى الله عليه وسلم وينفي القول بعدمه وينفي أيضا أخذه لشريعته من كتب اليهود أو النصارى.

بل إن المستشرق الإنجليزي لايتنر يؤكد صراحة على أن النبي محمد صلى الله عليه وسلم لم يأخذ شريعته من كتب اليهود أو النصارى بقوله: "بقدر ما أعرف من دين اليهود والنصارى أقول بأن ما علمه محمد عليه السلام ليس اقتباساً، بل قد أوحي إليه من ربه، ولا ريب بذلك طالما نؤمن بأنه قد جاءنا وحي من لدن عزيز عليم. وإني بكل احترام وخشوع أقول: إذا كان تضحية المصالح الذاتية، وأمانة المقصد، من العلامات الظاهرة الدالة على نبوَّة محمد عليه السلام أنه قد أوحي إليه" .(ماضي: 149)

وهو ما يؤكد ايضا المستشرق مونتجمري،في كتابه(الإسلام والمسيحية في العالم المعاصر):"إنَّ القرآن ليس بأيِّ حال من الأحوال كلامَ محَمَّد، ولا هو نتاج تفكيره، إنَّما هو كلام الله وحده، قصد به مخاطبة محَمَّد ومعاصريه ومن بعدهم. ومن هنا فإنَّ محَمَّدا ليس أكثرَ من (رسول) اختاره الله لحمل هذه الرسالة إلى أهل مكَّة أوَّلاً, ثمَّ لكلِّ العرب, ومن هنا فهو قرآن عربي مبين. وهناك إشارات في القرآن إلى أنَّه موجَّهٌ للجنس البشري قاطبةً. وقد تأكَّد ذلك عمليًّا بانتشار الإسلام في العالم كلِّه، وآمن به، وقبِله بشرٌ من كلِّ الأجناس تقريبًا"(مونتجمري نقلاً عن محَمَّد عمارة:159).

أما زعمهم: بأن النبي صلىاللهعليه وسلم ،كان في القرآن ساحراً ، وأنه اخترع ديناً جديداً مماثل للاديان السابقة. فقد رد المستشرق آميل درمنجهام على زعمهم، وفنده أباطيل قول هؤلاء الدعاة وحمل عليهم ، ورد هذه التهم الرخيصة التي خالفت الواقع(إميل درمنغم: 135)

وهذه كلها مزاعم واهية لا حظ لها من العلم ولا سند لها من التاريخ ، وإنما هي تخمينات وافتراضات يضعها أصحابها كما لو كانت حقائق ثابتة لا تقبل الجدل. فالقرآن الكريم كذب هذه الدعوى غيرهم ،حيث قال تعالى في كتابه: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا﴾الفرقان: [4].

نفى القرآن أن يكون محمد صلى الله عليه وسكم قد علمه بشر سواء كان بحيرا الراهب أو وريقة بن نوفل أو الحداد الرومي أو غيرهم ؛كزعم بعض هؤلاء المستشرقين فقال تعالى موضحاً مصرحاً بذلك: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾النحل: [103].

وقد تحدى الله سبحانه وتعالى اعدى النبي في الجاهلية والذين قالوا بإن القرآن الكريم مستقى من التوراة والإنجيل بقوله تعالى: ﴿ فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين ﴾الطور : [34] بل وقد جاء رد الله عليهم بقوله: ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنا إِلَيْكَ كَما أَوْحَيْنا إِلى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنا إِلى إِبْراهِيمَ وَإِسْماعِيلَ وَإِسْحاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْباطِ وَعِيسى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهارُونَ وَسُلَيْمانَ وَآتَيْنا داوُدَ زَبُوراً * وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْناهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلاً لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللهُ مُوسى تَكْلِيماً ﴾ النساء:[163-164]

الخاتمة

من خلال تتبع معنى ومفهوم الوحي في القواميس اللغوية يتبين لنا اختلاف مفهوم الوحي عن معنى الإشراق بالمفهوم الفلسفي، كما يختلف عن الحدس وهو لا يناقض الوعي كما ادعاه المستشرقون الماديون، الذين استخدموا خيالهم في محاولة إنكار الوحي، ونفي النبوة عن النبي صلى الله عليه وسلم ؛ فالوحي ظاهرة غير عادية تقع بين الملك المرسل من الله سبحانه وتعالى وبين إنسان اختاره الله لتبليغ رسالته إلى خلقه؛ لذا فإن جمهرة المستشرقين لا ينكرون ظاهرة الوحي في الواقع الإنساني،ولكنهم يثبتونها لأنبياء التوراة والإنجيل وينكرونها عن خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم تعصباً وكراهية، ويصفونه صلى الله عليه وسلم، بالعبقري والمصلح الذكي،محاولة منهم نفي نزول الوحي عليه.

ومن خلال استقراء آراء بعض المستشرقين حول (مفهوم الوحي) نصل إلى النتائج الآتية:

- إن ظاهرة الوحي من أوسع الموضوعات التي تناولها المستشرقون بالبحث والدراسة في أبحاثهم .
- حاول بعض المستشرقين المغرضين الحاقدين إبطال الوحي ونفي الرسالة عن النبي صلى الله عليه وسلم؛بدعوى تكذيبه والادعاء بأنه افترى القرآن الكريم من عنده. ووصفوه صلوات الله وسلامه عليه بأنه نعرض لظواهر نفسية انفعالية عاطفية مرضية هستيرية.
- لقد لاحظ بعض المستشرقين التلازم بين الوحي والنبوة،فحاولوا نفي الوحي عن النبي صلى الله عليه وسلم؛ لأن إثبات أحدهما هو إثبات للآخر؛ فالوحي من أخص خصائص النبوة.
- ينبغي تحذير والباحثين والشباب المسلم من أقوال المستشرقين التي اشتهرت بالإنصاف والاعتدال في دراسة ظاهرة الوحي بصفة خاصة والإسلام بصفة عامة؛ لأنهم يكتبون عن دين هم ليسوا من أهله لا يدينون به.

قائمة المصادر والمراجع

Sir William Muir, 1912, *Life of Mohammad*. Edited by; John Grant, Scotland: Edinburgh.

ابراهيم اللبان. **المستشرقون و الإسلام**، ملحق بمجلة الأزهر. أبريل. 1970م.

ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير،المكتب الإسلامي، 1984م. ,

ابن حجر ،إرشاد الساري لشرح صحيح البخارى ،ج1، المطبعة السلفية ، القاهرة 1380 هـ،

ابن منظور، لسان العرب،بيروت: دار صادر، ط1

أحمد بن فارس معجم مقاييس اللغة،تحق:عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت ،1979م،ج6.

أحمد غراب ، رؤية إسلامية للاستشراق،لندن، المنتدى الإسلامي، ط1411،1هـ،

إميل درمنغم،حياة محَمَّد، ترجمة: عادل زعيتر،ط2 .. بيروت: المؤسَّسة العربية للدراسات والنشر, 1988م.

بيل، ريشارد ، الإسلام المتطرف، طبعة الجيماري 1989م.باريس.

توفيق محمد السبع .قيم حضارية في القرآن الكريم ،القاهرة. مصر ،ط2، 1984 م.

جميل صليبا ؛ المعجم الفلسفي ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، 1979 م،

جوستاف لوبون حضارة العرب،دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3، 1979م .

جولدتسهر، العقيدة والشريعة في الإسلام،بترجمة محمد يوسف موسى وآخرون، القاهرة 1948م.

الراغب الأصفهاني،المفردات في غريب القرآن،بيروت،دار المعرفة، د.ت.

ريجيس بلاشير، القرآن: نزوله، ترجمته وتأثيره ، ترجمة رضا سعادة، دار الكتاب اللبناني، 1974م.

الزبيدي،تاج العروس من جواهر القاموس،ج1،مصر:مطبعة مصطفى البابي الحلبي،ط1980،1م.

جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، الجزء1، مطبعة حجازي،القاهرة, ط3 ،1941م.

صبحي الصالح ، مباحث في علوم القرآن، دار العلم للملايين،ط24 ، 2000م.

الفضل بن الحسن ،الطبرسي، تفسير جوامع الجامع ،الجزء2،مطبعة العرفان ، صيدا ، 1333 هـ.

عبد الجليل شلبي ،الإسلام والمستشرقون ، القاهرة، دار الشعب، ٩٧٧ ١م.

عمر إبراهيم رضوان ، آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره دراسة ونقد ،دار طيبة .

مالك بن بني ، الظاهرة القرآنية ،ترجمة عبد الصبور شاهين، دمشق ،دار الفكر،ط4، 1987م.

محمد الشفاقي ، ،الفكر الإسلامي في مواجهة الحضارة الغربية،ج1،م.س.

محمد أمين عامر،المستشرقون والقرآن الكريم ، دار الأمل، الأردن،ط2004،1م .

محمد حسين الصغير، المستشرقون والدراسات القرآنية،بيروت،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر،1403هـ،
محمد رشيد رضا، الوحي المحمدي، مؤسسة عز الدين، بيروت، ط2، 1352هـ: .
محمد رشيد رضا، تفسير المنار ، الجزء : 9
محمد سعيد رمضان البوطي ،كبرى اليقينيات الكونية ؛ دار الفكر، دمشق، 1997م.
محمد سيد أحمد المسير، الرسول والوحي،دار ابن كثير،بيروت، 1987م.
حمد شريف الشيباني، الرسول في الدراسات الاستشراقية، دار الحضارة، بيروت.

محمد صالح البنداق،المستشرقون وترجمة القرآن الكريم،دار الآفاق الجديدة،ط2،بيروت 1983م، .
محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن ؛ دار الفكر العربي، القاهرة، 1995م.
محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، دار إحياء الكتب العربية د.ت،ج1 .
مَحَمَّد عمارة،الإسلام في عيون غربية بين افتراء الجهلاء وإنصاف العلماء، القاهرة،دار الشروق, 2005م.

محمود أبو الفيض المنوفي الحسيني. سيرة سيّد المرسلين، القاهرة: دار النهضة المصرية .
محمود حمدي زقزوق،الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، القاهرة: مكتبة الشروق الدولية 2008م

محمود ماضي، الوحي القرآني في المنظور الاستشراقي ونقده ، الإسكندرية، دار الدعوة، 1416هـ.

محمد الشفاقي،الفكر الإسلامي في مواجهة الخضارة الغربية،ج1، 1995م.

مونتجمري وات، الإسلام والمسيحية في العالم المعاصر، ترجمة عبد الرحمن عبد الله الشيخ، القاهرة: مكتبة الأسرة الهيئة المصرية العامة للكتاب2001